

تونسل

ادباؤنا والمعركة

صالح الحاجة

عندما سقطت فرنسا نحت الاحتلال الألماني خرجت كجندي شجاع واحد لصد العدوان ، وانحد شعبها وحدة رائعة في وجه العدوان ، وكانت المدافع تطلق النار لتتحرق الظلم والاستبداد ورفقة التوسع ، وكانت الاقلام الى جانبها تطلق هي ايضا طلقاتها في وجه العدو الألماني . كانت الاقلام تطلق الكلمات الهادئة الرصينة .. كلمات الامسل والنفاؤل وانتصر والحرية والكرامة .. وتوجهها الى الشعب الفرنسي لتساعده على القتال والنضال وتفرش طريق الموت من اجل الحياة بزهور الشجاعة والفتوة ..

واشهر قصيدة فيلت في هذا المجال قالها بول ايلوار وكان عنوانها (هناك كلمات نحوي) .. لقد عوضت هذه القصيدة كلمات صباح الخير وتصبح على الخير وحلت محل جميع كلمات النحاي واصبح الناس يرددونها كما يرددون اي اغنية شعبية ..

وكانت الاقلام ايضا تطلق كلمات اخرى .. ولكنها موجهة الى العدو .. كلمات قاسية .. مؤلمة .. فائلة تبعت في العدو الشعور بالخزي والعار والفضيحة وتحته على العودة الى بلاده والتوقف عن تفتيل الابرياء والاطفال والنساء .. وتهديم البيوت الامنة ..

ومن بين الاقلام التي لفتت الانتظار اليها بمقالاتها في تلك الفترة الشجاعة من تاريسخ فرنسا .. فلم البير كامو كان ينشر مقالاته على الصفحة الاولى من جريدة - كوما - .. لقد ذاع صيت البير كامو عن طريق مقالاته السياسية فيل ان يلعب بواسطة كتابه - الغريب - .. وكان الناس يقبلون على قراءة مقالاته بنفس اللهفة التي يقرأون بهسا اخبار المعارك ..

لقد كانت مقالاته في تلك الفترة الخبز اليومي الذي يحيا به الناس .. انه خبز التلويح بالنصر وبعث الثقة في قوتهم وارادتهم .. وانهم شعب لا يقهر ولا يهزم .

والتاريخ حافل بالاشارات الى دور الكلمة في الحرب والشواهد التي تشهد ببطولتها في القتال .. ومن اراد ان يتأكد من دورها وبتولتها عليه ان يعود الى كتب التاريخ ففيها ما يشفي الفليل وسيجد في ما سيجد ان الكلمة اخذت مكانها في المعارك التي خاضها الاسلام ضد اعدائه وانها لعبت دورا عظيما في مساعدة المؤمنين على الصمود والاستمرار في القتال وبلوغ النصر .

ان للادباء والكتاب مهمة خطيرة في السلام والحرب يؤدونها بامانة .. ولهم مسؤولية يتحملونها في اوقات العسر واليسر بشجاعة . دورهم زرع الامل في دروب المغالين وتزيين الموت من اجل الحياة .. ومسؤوليتهم هجمات العدو الكلامية التي تستهدف تخريب الجبهة الداخلية وتشكيك الشعب في قدراته وامكانياته لينسحب من ميدان القتال ويهزم نفسه بنفسه ..

وفي هذه الايام التي نعيش فيها معركة من اشرف معاركنا .. ونترقب فيها النصر وندعو فيها بالانتصار لجيوشنا العربية على ظفمة الظلام والعنصرية ..

في هذه الايام يتابع ادباؤنا تطورات القتال باهتمام ويعيشون اخبار المعركة ويترقبون النصر بلهفة شديدة وفي نفوسهم امل قوي .. وفي قلوبهم فرحة عارمة .. وفي افلامهم خبر سيتحول الى انتاج ادبي جيد يزيد في اضاءة الطريق امام الاجيال العربية المؤمنة بوجودها والتي ستدضي في بناء المستقبل بلا عقد .

ومع بعض ادبائنا كانت لي لقاءات .. عبروا لي خلالها عن عواطفهم ومشاعرهم وانفعالهم وردود فعلهم تجاه معركة رمضان وامانيهم

وتوقعاتهم .. لقد اخترت من ادبائهم بعفوية مطلقة .. ولاول مرة اقبل بترحيب جماعي شديد من طرف الادباء واستعداد فوري للاجابة على اسئلتني .. ولم اجد من بين من اتصلت بهم من رفض الاجابة او طلب مني ان اعطيه فرصة للتأمل كلهم وافقوا وقالوا كلمتهم بسرعة ..

وهناك عدد اخر من الادباء اتصلت بهم ولكني لم اجدهم (بشير ابن سلامة ، مصطفى الفارسي ، المنجي الكعبي ، نورالدين صمود، محمد مصولي ، احمد القديني) .

واعرف ان هناك عددا كبيرا من ادبائنا لم اتصل بهم ، ولكن ليعتروني فان الوقت لم يسمح والظروف لم تمكنني الا من هؤلاء :
أحمد المنعماني :

انا لست سياسيا ولا افهم الاستراتيجية العسكرية ولكن مع ذلك انا مهتم بهذه الحرب اهتماما كبيرا لانني اعتبرها اسلوبا شريفا يمكن العرب من استعادة حقوقهم .

انني اعيش مع هذه الحرب عاطفيا منذ ان بدأت وادعو للعرب بالانتصار على عدوهم الذي شوه سمعتهم واعطى للعالم صورة مشوهة عنهم ..

ان هذه الحرب التي يخوضها العرب ستثبت للعالم ان الانسان العربي يحسن الدفاع عن ارضه وشرفه وانه ليس ذلك الانسان العاجز الذي لا يملك شجاعة الموت .

واهم ما سينج عن انتصار العرب هو التغيير الذي سيطرأ على نظرة الراي العام العربي للانسان العربي .. سيصبح الراي العام ينظر الى العرب نظرة تقدير واعجاب .

العروسي المطوي :

شعوري هو شعور بالوجود بعد التيه والضلال .. لقد رفنا في هذه الايام رؤوسنا بعد الانتكاس .. وكل ذلك دليل على ان العربي يطلب الموت من اجل الحياة .

ان هذه الحرب كذبت اسطورة ان عصا موسى انتقلت الى موسى ديان .

واتوقع ان العالم - بعد الانتصار الذي حققه العرب - سيفير نظرتة تجاه العرب واسرائيل وسيصبح ينظر الى العرب نظرة فيها جد واحترام .

اما اسرائيل فانها ستفكر مستقبلا في كيفية عيشها لان وجودها متوقف على ارادتهم لها في العيش القائم على العنصرية والتمييز بين الاجناس .

ونتيجة لكل ذلك اقول ان مصير الشرق الاوسط هو بيد ابائنا لا بأيدي الدخلاء مهما طال الزمن ومهما تكاثرت المحن .

ابو القاسم كرو :

شعوري هو شعور اي انسان كان سجيناً في زنزانه وليس له بصيص امل في ان يفرج عنه يوما وهو اسير في ايدي اعداء السداء اشداء ، وفجأة وجدت نفسي حرا طليقا بل اكثر من ذلك فويا قادرا على ان اضعهم هم في نفس الزنزانه وفي نفس الوضع الذي جعلوني فيه .. وبذلك شعرت بالحرية والكرامة والامتزاز .. اكثر من ذلك شعرت باننا نملك حرية الارادة وحرية العمل ونملك القدرة الكاملة على الدفاع عن النفس والحاق اقصى ما يمكن من الخسائر بالعدو .

ان هذه الصورة تحدد معالم الانقلاب الهائل الرائع العظيم الذي حدث في خلال ساعات معدودات من يوم ٦ اكتوبر فمكس لا في ذهني فقط بل في ذهن كل الشرفاء في العالم صورة ٥ جوان ١٩٦٧ اذ اصبح وضع العرب في ذلك اليوم المشؤوم هو وضع الصهاينة اليوم ووضعهم

عروسية النالوتي :

مذ قرون والانسان العربي يعاني مركبات وعقدا تزيد في تفهقه كلما اراد القفز واجتياز مرحلة ما من المراحل التي بحول دون وصوله الى تحقيق منجزات يحاور بمقتضاها العالم العربي .

الانسان العربي كان وما يزال يعتقد بان الايام ادارت له الظهر وانه لن يقوم له فائمة ما دامت العثرات منغلقة بخطواته البطيئة . كان يكفي ان يكون هناك حدث ايجابي حتى يسترجع العربي ثقته في نفسه ، سواء اكان هذا عن طريق تورة فكرية او عن نحول ايدولوجي او عن فزة اقتصادية .

اما عن التورات الفكرية فان العالم العربي ما زال يخوض غمارها ، فتارة يطو واطورا يغيب في لجة التنافضات والمعيمات . واما عن التحولات الذهنية والعقائدية فما زالت التناحرات في منازعها الاولى ولكن وجودها في حد ذاته دليل مادي على ارادة التحول ونجاوز الاوضاع الراهنة بكل ما فيها من جمود ومشاعر فرديسه لا مقر لها الا حدمه مصالحها .

لعد ان الاوان لان نلقى اغبيارات الحدود الجغرافية والسياسية . طبعنا نحن لا ندعي ان نبعث امبراطورية عربية ، فقد لا نكون نرغب فيها ، بل المهم هو ان يتحد اقتصادنا ، ونربط شعوبنا العربيه مصاح مشتركة فلا يكون مدينين للعالم الاول او الثاني او الثالث ، وبدت نرضى بالدون امام المساومات التي يمارسونها علينا . ان محور تقدمنا ونحمرنا هو اكتشافا الذاتي واكتساب شخصيتنا على ما عندنا من موارد طبيعية يمكن لنا استقلالها استقلال اقتصاديا يرفعنا عن منطفه الصفر ويجعل العالم ينتظرنا لان لنا كلمة في كل موقف نقولها .

فماده البترول مثلا تشكل اكبر مورد يمكن ان يقف عنده العربي ويعيد النظر في كيفية استقلاله بطريقة حرة غير عييلة . واني اعتقد شخصا ان الحرب هي حد ذاتها لا تشكل انتصارا فانما بذاته الامتني كانت الكهارب التي ندور حولها مشحونة بكل الطاقات المولدة للحركة والخلق الدائم .

فكسب الحرب هي خطوة اولي نحو تحول نرجو ان يكون في خدمة القوى التحررية ويخلق من حوله مناخا ملائما لبعث جيل مفكر جديد يكون له شرف انفاذ عاهه من صفوط الهيمنة الفردية . هذه بعض الخواطر التي تدور في ذهني .. كتبها بصورة مشوشة توحى بمدى الفوضى والحيرة التي نعيشها هذه الاسابيع الاخيرة امام الحسنة النزاعي بين العرب والقوى الاستعمارية التوسعية ، وكل ما ارجوه هو ان نتضح الرؤية في الايام القادمة وتكون في خدمه الحرية العربية .

فاطمة سليم :

هذه الحرب رائحة .. هذه الحرب اعادت لنا احساسنا بالقوة والمقدرة والاتحاد واننا - خير امة اخرجت للناس - .. هذه الحرب فتحت ابواب الامل عريضة كبيرة في وجوهنا ومزقنا بها شبح الهزيمة الاسود والقينا بشوبه الوسخ عرض البحر بل حرفناه وأذربنا رماده في السياخ .

الايام الاولى من الحرب شعرت فيها بالهبة والحرج . تذكرت حزيران ١٩٦٧ . لكن بمرور الوقت وورود انباء الانتصارات القوية للزائم والباعثة على الامل بدأت اشعر وكاني كنت مريضة وشفيت فجأة ، بل وكاني استرجع فواي بصورة غريبة ، وانا اعيش في كل لحظة من لحظات يومي مع الانباء القومية والعالمية وانتبع تفاصيل الحرب واتناقش فيها مع كل الناس . توقعاني للمستقبل القريب والبعيد هي ان لا نهزم ابدا ، فمضوياتنا ارتفعت ومادياتنا في تصاعد ونحن مستعدون للنضال حتى النصر النهائي .. النضال على جميع الجبهات ، أعني بذلك اننا سنتحول الى مناضلين ، كل في ميدانه ، لتحقيق الغاية الكبرى وأن تكون دائما - خير امة اخرجت للناس - .

الصباح

٢١ تشرين الاول

يوم ذلك هو وضعنا اليوم ومهما تكن تطورات القتال ونتائجه في المدى القريب والبعيد فان الذي حققه العرب في هذه الايام لن يخسروه ابدا وهو انباتهم انهم يستطيعون ان يفرضوا ارادتهم وان يحطموا ارادة العدو .

وهناك معنى اخر كان غير واضح في ذهني ولم استطع تعليله او تبريره طيلة السنوات الست الماضية وفهمته وادركت ابعاده في هذه الايام واعني لماذا كان العرب المحيطين بالصهاينة يرفضون المفاوضات وهم قد هزموا وفقدوا كل امكانياتهم العسكرية ، فما حققه الجيشان المصري والسوري في هذه الايام اعطى الجواب وقدم ما يقتنع من ائمال لا شك انها ستكون نقطة تحول في تاريخنا وفي تاريخ اعدائنا ايضا .

جعفر ماجد :

لهذه الحرب في رأيي معنيان مختلفان .. اولاً : على الصعيد القومي والشخصي هي انتفاضة الانسان العربي وانتصاره على اليأس ومخلفات عدوان ١٩٦٧ الذي عقدنا كثيرا حتى جعل منا ضحايا لحرب نفسية كادت تحقق للصهاينة من الانتصارات ما هو اخطر من تحطيم الطائرات ، اعني بذلك تدمير وتحطيم النفوس والتشكيك في الحضارة العربية والقدرات الثورية في اجيال النهضة التي سميت -بتسرع - اجيال الهزيمة . وقد قرأت في بعض الصحف ان يهود العالم يشعرون بانفسهم مدينين لاسرائيل لانها خلصتهم من العقدة القديمة التي غرستها في نفوسهم الاوضاع العنصرية على مر الحقب ، فأقول بدوري ان كل عربي مدين منذ اليوم للمقاتلين على الجبهة بتحريره من آثار العدوان النفسية مهما تكن نتيجة الحرب لان ضربة السيف أشرف من ضربة الصوت .

ثانياً : على الصعيد العالمي ، أخذت هذه الحرب شكل صراع بين العالم الثالث والامبريالية خاصة بعد انتصار القارة الافريقية للقضية العربية ، ومن هذه الزاوية نستطيع ان ندرك خطورتها لانه يعد أمر يصدق تخوفات اسرائيل من القاء اليهود في البحر ، فاذا اكنست المعركة الحدة التي نراها اليوم فلأن الرهان ليس بالهين وعلى كل حال فان انتفاضة السادس من اكتوبر التي يسميها الغربيون معركة (الكيبور) ونسُميها نحن معركة رمضان غيرت كل المعطيات السياسية في الشرق الاوسط .

واذا كان من الصعب ان نكهن بالتطورات من الآن فمما لا شك فيه ان النتائج ستكون خطيرة جدا سواء كان ذلك على الصعيد السياسي والاقتصادي او حتى الثقافي والادبي بصفة خاصة .

عبد الواحد ابراهيم :

الحرب الدائرة اليوم حرب حضارية : حرب انبات ذات .. واثبات وجود ..

هي حرب تحرير فرضت على العرب في هذه المرحلة العصيبة من تاريخهم ، تحرير انفسهم من العقد والمركبات والاحكام المسبقة التي تركت على جباههم بصمات فذرة يدمقها بكل تنكر من عرفهم ومن لم يعرف .

(انه لا يقتل الرجل مثل الهم) . هذه قولة معروفة جرب العرب مدلولها في هذه السنوات ، وقد اختاروا اليوم الموت بالنار على الموت كهدا .

هذه اذن حرب تحرير نفسي قبل ان تكون حرب تحرير لكيلومترات الارض البور .. فلنندبر ذلك اولا لانعكاساتها المنتظرة والهامة جدا بالنسبة لحضارة الامة العربية - بل لوجودها اساسا فيما يستقبل من الزمان .

يقق لنا ان نعتز لاننا قد انتصرنا بعد ان انتصرنا حتى في حالة الهزيمة ، اذ ما نخاف ان نخسر اكثر مما خسرننا ، بل ماذا عسى ان نفعل وحالة السلم غدت موبوءة لا تمتح امانا ولا شرفا ولا استقرارا .. فما بالك بالتقدم .

وأختم قولتي ببيت شعري قساله الشاعر الجزائري الاخضر السائحي ويعجني تردده :

فاما العسارات في اللد شامخة

واما الخيام جميعا حول لبنسان